سلسلة تفريغات شبكة بينونة

تعظيم النص الشرعي

الشيخ
د. سعيد بن سالم الدرملي

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@baynoonanet @baynoonanetUAE www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة

بعنوان

تعظيمُ النصِّ الشَّرعي

للشيخ

د. سعيد بن سالم الدرمكي

-حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:-

فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

إخواني الأفاضل

ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لما أرسل النبي محمدًا -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- إلى هذه الأمة بشيرًا ونذيرًا، أيده بالوحي، فكانت أقواله وأفعاله وتقريراته مبنيةً على الوحي، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)﴾[النجم:٣-٤].

ولما سُئلت أم المؤمنين عائشة -رَضِيَ الله عَنْها- عن خلق النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قالت: **"كان خلُقُه القرآن"**؛ أي أنه -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- كان ممتثلًا الوحيَ المنزل من الله -عَزَّ وَجَل- في كتابه.

وهذا الوحي تمثل في أمرين:

- **الأول:** وحيٌ متلو وهو القرآن الكريم المتعبد بتلاوته، الذي نزل به جبريل على النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، المتواتر في النقل، المحفوظ من قبل الرحمن -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩].

- **والثاني:** السنة؛ قوليةً كانت، أو فعليةً، أو تقريرية، فهي كذلك وحيٌ من الله لقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم:٤].

وجاء عن حسان بن عطية وهو من التابعين وقد توفي في عام ثلاثين ومئة للهجرة، يقول: **"كان جبريل -عليه السلام- ينزل على النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن، يعلمه إياها، كما يعلّمه القرآن"**.

فقد دلت هذه النصوص على أن مصدر الكتاب والسنة واحد، وهو الوحي من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن رب العالمين -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أعطى الكتاب مزايا، وأعطى السنة مزايا، وجعل للقرآن أحكامًا، وجعل للسنة أحكامًا، جعل السنة مبينة للقرآن الكريم، يقول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤].

فعندنا ذِكرٌ وعندنا بيان:

- أما الذكر فهو القرآن.

- وأما البيان فهو بيان النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- لهذا القرآن.

فمن رام الفصل بينهما، فقد خالف مقتضى الشرع وإرادة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في الجمع بين أمرين؛ الكتاب والسنة، وكان -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يجمع بينهما، يقول: «خَيْرُ الكَلَام كَلَامُ الله، وخَيْرُ الهَدْي هَدْي

مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، تَرَكْتُ فِيكُم مَا إِنْ تَمَسَّكْتُم بِهِمَا فَلَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي»[1].

فمبنى الدين على الوحي، ومبنى الدين الدين الإسلامي كله على الوحي؛ ولذلك أمر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- نبيه باتباع الوحي، وأمر المؤمنين باتباع الوحي كذلك.

- قال الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٠٦].

- وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:٢٠٣].

- وقال: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ [يونس:١٠٩].

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ١١) برقم: (٨٦٧)

فتأمل كم أمر في القرآن الكريم للنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- ولأمته أن يتبعوا الوحي، ولا يقتصر الوحي على القرآن، بل يشمل القرآن والسنة، فلا تجدوا حكمًا في دين الله -عَزَّ وَجَل- إلا ودليله الكتاب والسنة، وهذا الذي كان عليه النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فكان يبيِّن الأحكام بالوحي، وإذا أتينا نقرأ القرآن نجد الصحابة يسألون النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- فما يجيبهم إلا أن ينزل الوحي ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾[البقرة:١٨٩]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾[البقرة:٢٢٢]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾[البقرة:١٨٦] فيجيبهم بمقتضى الوحي.

ويأتي بعض أهل الكتاب فيسألون عن بعض قصص الماضين من أمور الغيب السابقة، فينتظر -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- الوحي، ينزل جبريل -عَلَيْهِ السلام- ليُعلِّم النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- الصلاة، ويعلّمه الحج، ويبين له أحكام القرآن الكريم.

لذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ الله-: (فيأخذ المسلمون جميع دينهم من الاعتقادات، والعبادات، وغير ذلك من كتاب الله، وسنة

رسوله، وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، وليس ذلك مخالفًا للعقل الصريح، فإن ما خالف العقل الصريح فهو باطلٌ، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل، بل ربما اجتهد النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- في بعض لأحكام الشرعية وله الاجتهاد، فيجانبه الصواب، فيأتي الوحي مبينًا للنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- وجه الحق).

وهذا له أمثلة لعل منها: ما حصل في أسرى بدر، فإن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- لما شاور أبا بكرٍ وعمر شاورهم «مَاذَا نَفْعَل بِالأَسْرَى؟» قال: أشار عليه أبو بكر بأن يأخذ الفدية ويطلق صراحهم، وأشار عمر بأن يقتلهم، فمال النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- إلى رأي أبي بكرٍ الصديق -رَضِيَ الله عَنْهُ، فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾[الأنفال:٦٧] حتى اجتهاد النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- تابع للوحي.

فإذا كان الوحي بهذه الأهمية، وبهذه المكانة؛ فقد عظَّم الله -عَزَّ وَجَل- شأن النص الشرعي المنزل بواسطة الوحي، وأمر بالتمسك به،

وتعظيمه، والعمل به؛ لأن الإخلال بالوحي، إخلالٌ بأساس الدين ومرتكزه العظيم، وهذا الأمر إخواني الأفاضل لا يدركه إلا مَنْ فَقِهَ مصادر التشريع، وعَلِمَ كيف تُستنبط الأحكام من أدلتها، ورأى في طريقة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- في الاستدلال، والصحابة من بعده، ومَنْ جاء من بعدهم إلى هذا العصر.

جاءت الآيات الكريمات حاثةً المسلمين على التسليم للوحي، ولهذا النص الشرعي، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى الله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى الله عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[لقمان:٢٢] فمن صفات المسلم الاستسلام لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- والانقياد.

وقال -عَزَّ وَجَل-: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥]، تأمل وجه الاستسلام للوحي في هذه الآية: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[النساء:٦٥] نفى عنهم الإيمان، ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[النساء:٦٥] فيكون الوحي المنزل على النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ

وَسَلَّم- هو الحكم بينهم، ليس فقط هذا ﴿ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾[النساء:٦٥] وزد على ذلك ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥] انقياد تام.

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأنفال:٢٤]، ﴿اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[الأنفال:٢٤].

وكل القرآن والسنة؛ خطاب للمسلمين، إما بفعل أمرٍ، أو اجتناب نهيٍ، أو تصديق خبر:

- إما افعل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾[النور:٥٦].
- أو نهي: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾[الحجرات:١٢].

- أو خبر: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)﴾[الفاتحة:٢-٤] ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا﴾[الأحزاب:٣٦].

وهذا التعظيم للنص الشرعي هو الذي كان عليه الصحابة في زمن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وزمن التابعين، وتابعي التابعين، والأئمة المتبوعين من العلماء الربانيين.

وأخبر الله -عَزَّ وَجَل- أن عدم الاستجابة للنص الشرعي يؤدي إلى الانحراف إلى الأهواء، وابن عباس رضي الله عنهما يقول: **"ما سُمِّيَ الهَوى هَوًى إِلَّا لِأَنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ فِي النَّارِ"**.

فالذي يُعْرِضُ عن اتباع النص الشرعي الصحيح الثابت؛ ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[القصص:٥٠]؛ إما أن تستجيب للوحي، وللنص الشرعي الذي جاءك به محمد بن عبد الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، أو أنك تكون متبع للهوى، فإن كنت متبعًا للهوى، فأنت ممن أضله الله، وكنت من الظالمين.

والمسلم يحرص على الاستسلام لنصوص الوحي فيما يتعلق بالغيبيات والأمور الغيبية، وما يتعلق بالأخبار، والقصص الواردة في النص الشرعي، والتسليم للأوامر والنواهي الشرعية، سواءً علمنا الحكمة منها أو لم نعلم.

■ **تأملوا معي هذه المواقف من سيرة نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- مع صحابته، أو من سيرة الصحابة مع النص الشرعي ومع الوحي، وتأملوا سرعة الاستجابة.**

- روى البخاري ومسلم عن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: **"رَأَيْتُ عُمَر بن الخَطَّاب -رَضِيَ الله عَنْهُ- يُقَبِّل الحَجَر-أي الأسود- وَقَالَ: لَوْ لَا أَنِّي رَأَيْت رَسُول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يُقَبِّلُكَ مَا قبَّلْتُك"**

وجاء في رواية **"إِنِّي لَأَعْلَمَ أَنَّك حَجَر لَا تَنْفَع وَلَا تَضُر، وَلَو لَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يُقَبِّلُك مَا قَبَّلْتك"**.

إذن ما الدافع لعمر رضي الله عنه لهذا الفعل؟

الدافع له هو النص الشرعي وهو فعل النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

- وجاء عن مالك، قال: **"سمعت أبا حصين، قال: قال أبو وائل -. لَمَّا قَدِمَ سَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ مِن صِفِّينَ أَتَيْنَاهُ نَسْتَخْبِرُهُ، فَقَالَ: اتَّهِمُوا الرَّأْيَ"** والرأي في مقابل النص، **"فَلقَدْ رَأَيْتُنِي يَومَ أَبِي جَنْدَلٍ ولو أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ علَى رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ أَمْرَهُ لَرَدَدْتُ، والله ورَسولُهُ أَعْلَمُ"**

أما ما حصل في صلح الحديبية كان غير مقبول عند بعض الصحابة؛ لأنهم رأوا فيه انتقاصًا من شأنهم ومن قوتهم، وقد جاءوا يطلبون العمرة،

فلما وُضِعَت وثيقة الصلح، وجاء ابن سهيلٍ وقد رُبِطت يده ورجله بالسلاسل يطلبونه لينقذوه من أبيه، إلا أن سهيلًا قد أبى، فيقول: **"اتَّهِمُوا الرَّأْيَ، فَلقَدْ رَأَيْتُنِي يَومَ أَبِي جَنْدَلٍ ولو أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ علَى رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ أَمْرَهُ لَرَدَدْتُ، والله ورَسولُهُ أَعْلَمُ"**.

- ومن صور ذلك في حال الصحابة –رضوان الله عليهم- في غزوة الأحزاب، وغزوة الأحزاب من الغزوات التي كانت فيها شدة على الصحابة –رضوان الله عليهم-.

تأملوا معي وصف الغزوة:

يقول الله -عَزَّ وَجَل-:﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ كفار قريش مع من معهم من الأحزاب جاؤوا وحاصروا المدينة من الأعلى، وتعاقدوا مع اليهود، وكان اليهود في الجهة الأخرى، والمسلمون في الوسط، ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾تأمل الحال، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ القلب وصل إلى هذا المكان،

والمقصود الخوف، ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢)﴾[الأحزاب:١٠-١٢].

أما المؤمنون الصادقون كان قولهم: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٢٢] رُغْم هذه الأحداث وهذه الأحوال، إلا أن المؤمن الصادق مؤمن ومستسلم لخبر الله -عَزَّ وَجَل- ومستيقن به، أن النصر من الله.

والصحابة -رضوان الله عليهم- قد امتثلوا أمر ربهم بالاستسلام التام للنص الشرعي، وتعظيم النص الشرعي والعمل به.

فعن عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- قال: **"بينما الناس في قباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آتٍ"** هم الآن يصلون **"فقال: إن رسول الله -**

صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قد أُنْزِلَ عَلَيْهِ الليلة قرآنٌ" يعني وحي، نص شرعي **"وَقَد أُمِر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها"**.

كانوا أين يصلون سابقًا؟

إلى بيت المقدس.

قال: "إن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قد أُنزِل عليه الليلة قرآن، وقد أُمِرَ أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها" كيف كانت استجابة الصحابة –رضوان الله عليهم- وهم في صلاتهم، قال: **"وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة"** ما قالوا: انتظر حتى نسأل النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- وننظر لماذا أمر بذلك؟ ومتى نطبق الصلاة؟ وما حكم الركعة الأولى والثانية التي كانت إلى الشام؟ نفذ فورًا، استسلام تام.

- وعن أنس بن مالك -رَضِيَ الله عَنْهُ- قال: **"كنت أسقي أبا عبيدة، وأبا طلحة، وأبي بن كعب من فَضِيخِ زَهْوٍ وَتَمْر"** اللي هو خمر، والخمر مر على مراحل في التحريم، **"فَجَاءَهُم آتٍ، فَقَالَ: إِنَّ الخَمْر قَدْ حُرِّمَت"** فقط

"فقال أبو طلحة: قم يا أنس، فأهرقها، فأهرقتها". لم يقل: اتركنا نكمل هذا الكأس، ثم إن الله غفور رحيم، بل استجابة مباشرة لنص النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

وربما كانت الاستجابة مع كراهية النفس لهذا الفعل الصادر من هذا الشخص مثلًا، كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **"كَانَت امْرَأَةٌ لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد"** كانت زوجته تصلي الجماعة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد **"فقيل لها: لِمَ تخرجين وقد تعلمين أن عُمَر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ»**[1]**"** فاستجاب لأمر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، واستجاب للنص الشرعي الصحيح الثابت رغم أنه يغار على هذه المرأة، ولا يريد إلا أن تصلي في بيتها، وصلاتها في بيتها خيرٌ لها من صلاتها في مسجدها، لكن لما جاء النص من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- ليس بوسعه مخالفته.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٧٢) برقم: (٨٦٥)

- وجاء عن رافع ابن خديجٍ قال: "كُنَّا نُحَاقِلُ الأرْضَ علَى عَهْدِ رَسولِ الله -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ-" هذا ما يسمى بالمساقاة "فَنُكْرِيهَا"؛ أي نؤجرها "بالثُّلُثِ وَالرُّبُعِ، وَالطَّعَامِ المُسَمَّى، فَجَاءَنَا ذَاتَ يَومٍ رَجُلٌ مَن عُمُومَتِي، فَقالَ: نَهَانَا رَسولُ الله -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- عن أَمْرٍ" انتبه للفظ، " نَهَانَا رَسولُ الله -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- عن أَمْرٍ كانَ لَنَا نَافِعًا، وَطَوَاعِيَةُ الله وَرَسولِهِ أَنْفَعُ لَنَا" مع أن ظاهر النهي، وظاهر الفعل أنه فيه فائدة لنا، لكن نهى عنه الإسلام، نهى عنه النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وهذا هو النص الشرعي، أين تعظيم النص الشرعي؟ تركوا ما يظنونه نافعًا فقال: "وَطَوَاعِيَةُ الله وَرَسولِهِ أَنْفَعُ لَنَا".

- روى الترمذي قال: "لَمَّا نَزَل قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾[المائدة:٩١] إِلَى قَوْلِه تَعَالَى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾[المائدة:٩١] فَدُعِيَ عُمَر فَقُرِأَت عَلَيْهِ، فَقَال: انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا".

هذه سيرة الصحابة –رضوان الله عليهم- في التعامل مع النص الشرعي كتابًا كان أو سنة.

كان الصحابة إذا قُرِأَت عليهم آيات القرآن يعلمون أنهم هم الذين يخاطبون بهذا القرآن، ليس مجرد آيات تتلى، لما نزل قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢].

كم واحد مرت عليه هذه الآية ولا تحركت فيه شعرة، لكن الصحابة –رضوان الله عليهم- يفهمون مقتضى الآيات بحكم معرفتهم باللغة، وبحكم تدبرهم للقرآن الكريم، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[الأنعام:٨٢] ففهموا مطلق الظلم، قالوا: **"وَأَيُّنَا لَمَ يَظْلِم نَفْسَه"** فذهبوا للنبي –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- فبيَّن لهم ما المقصود بالظلم، قال: «أَلَمْ

تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ العَبْد الصَّالِح: ﴿لا تُشْرِكْ بِالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣]»[١]

- يقول ابن مسعود -رَضِيَ الله عَنْهُ-: "إِذَا سَمِعْت فِي القُرْآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فَأَعِرْهَا سَمْعَك، فَإِمَّا خَيْر تُؤْمَر بِهِ، وَإِمَّا شَر تُنْهَى عَنْهُ". هذا تعظيم السلف للنص الشرعي.

- يقول أبو بكر الصديق -رَضِيَ الله عَنْهُ-: "لَسْت تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يَعْمَل بِهِ إِلَّا عَمِلْت بِهِ، وَإِنِّي لَأَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغ".

علّق على هذا ابن بطة -رَحِمَهُ الله- فقال: (هذا يا إخواني الصديق الأكبر، يتخوف على نفسه من الزيغ إن هو خالف شيئًا من أمر نبيه -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فماذا عسى أن يكون من زمانٍ أضحى أهله يستهزؤون

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٥) برقم: (٣٢) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٨٠) برقم: (١٢٤)

بنبيهم -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وبأوامره، ويتباهون بمخالفته، ويسخرون بسنته، نسأل الله العصمة من الزلل، والنجاة من سوء العمل).

هؤلاء هم الذين رضي الله عليهم، هم الذين أثنى الله عليهم في القرآن الكريم، هم الذين مات النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- وهو راضٍ عنهم، إذن منهجهم وطريقتهم هي الصواب، وهي الصحيحة.

وعلى ذلك إخواني الأفاضل، سار الصحابة -رضوان الله عليهم-، والتابعون، ومن بعدهم، **فكانت مصادر التشريع تبنى على أمرين أساسيين:**

الكتاب والسنة في زمن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

ثم جاء في عهد الصحابة الإجماع والقياس.

ثم جاء في عهد التابعين عمل الصحابة.

ثم جاء الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، والشافعي، وأحمد، ومالك، وكل واحد منهم كانت له مدرسة، وكل مدرسة فقهيةٍ بنيت على مصادر تشريع قد ينفرد بعضها عن بعضٍ في شيءٍ من المصادر، لكن جميعًا، بل نقول:

اتفقت الأمة قاطبة على أن المصدر الأول هو الكتاب، والمصدر الثاني هو السنة، وأن بقية المصادر إنما تأخذ حجيتها من الكتاب والسنة، فهما الأساس.

حتى في النوازل اليوم والمستجدات التي تحصل في العالم، التي لم يذكر لها حكمٌ في الكتاب ولا في السنة، ويحتاج العلماء إلى استنباط حكم لها، فإنما يأخذون حكمها من أصول الكتاب والسنة، ومن الأحكام الكلية الواردة في الكتاب والسنة، ويطبقون عليها بقية مصادر التشريع.

هذه الأهمية للكتاب والسنة هي التي حفظت الإسلام؛ لأن الإسلام يقوم على هذين الأساسين، ومتى ما عمل المسلمون بهاذين الأساسين قوي الإسلام واستمر.

هنا تنبه أعداء الإسلام لهذا الأمر، أعداء الإسلام يريدون ماذا؟

يريدون ضرب الإسلام بأي طريقة، وإضعافه بأي طريقةٍ كانت، ولذلك حاربوا الإسلام سنوات طويلة، طيب، ما الحل؟

كل ما ينتهون من حرب يراجعون أنفسهم، كيف نتصرف مع هذا الإسلام؟ هذا الإسلام محفوظ منصور كيف نُضْعِفَه؟ وهم في هذا أصحاب خبث وفطنة.

يعني مما يذكرون من قصص التاريخ:

يقال: في زمن الأندلس لما أراد الأعداء غزو الأندلس في قوتها وعزتها أرسلوا جاسوسًا ينظر في أحوال البلاد، يقول: فدخل فرأى طفلًا صغيرًا يبكي، قال: يا هذا ما يبكيك؟ قال: عشرة من الطير على الشجرة اصطدت تسعة وفرّ واحد، فرجع إلى ملكه، قال: لا تقدر عليهم، طفلٌ بهذه الهمة لو دخلت عليهم قطعوك أنت وجنودك.

ولذلك كان في الإسلام عزة قوية، ولا زالت العزة موجودة، يقول ذلكم القائد: "لقد جئتك بقومٍ يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة، جئتك بجيشٍ أوله عندك وآخره عندي".

نقفور ملك الروم لو تقرؤون في سيرته كان من أشد ملوك الروم على المسلمين فتكًا، وكان متهورًا، فبعد أن قتل الملكة التي كانت قبله، وقد دفعت الجزية لهارون الرشيد -رَحِمَهُ الله-، فقتلها واستولى على الحكم، فأرسل رسالةً إلى هارون: (من ملك الروم نقفور إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد، هذه السابقة كانت تعطيهم الأموال وتعطيكم الجزية، فأرجع لنا ما أخذته، وأما البلاد التي أخذتها فقد أخذناها)، فالسفير الذي جاء بالورقة، يقرأ هارون الرشيد الورقة والناس قد غطوا وجوههم خشية أن يقتل السفير صاحب الرسالة، فيصيبهم شيء من دمه، **لماذا؟** من شدة غضبه، فانطلق، قبل أن يذهب قلب الورقة، قلب الرسالة، فكتب له: (من أمير المؤمنين هارون الرشيد إلى نقفور كلب الروم، الجواب ما سترى لا ما تسمع، والسلام) فقط لا غير. هذا الرسول يقرأ على نقفور والجيش على الحدود، ولم يهدأ باله حتى قتله.

عاود ذلكم الملك ملك البرتغال أو غيره، الذي كان يريد السيطرة على الأندلس وتركهم سنين، ثم أرسل آخر قال: انظر فيهم، فلما دخل وإذا

برجلٍ كبير في السن يبكي لماذا يبكي؟ الله أعلم هكذا جاءت القصة- قال: ما بيكيك؟ قال: كنت انتظر صاحبتي فما جاءت، قال: الآن، فهم يرقبونكم، ويرقبون أحوالكم، فهم نظروا إلى أن المسلمين قوتهم في تمسكهم بكتاب الله، وبسنة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-؛ ولذلك قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «وَجُعِلَ الذُّل وَالصَّغَار عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»[1].

فلما علم أعداء الإسلام أهمية النص الشرعي في دين الإسلام، وعلموا أنهم لا يقدرون على هدم الإسلام والقضاء عليه إلا بالطعن في النص الشرعي وفي الوحي، سعوا جاهدين وبكل طريقةٍ، وبكل وسيلةٍ إلى الطعن في النص الشرعي؛ لأجل تشكيك المسلمين في دينهم، وزعزعة عقيدتهم، وبث الفرقة بينهم، منطلقين من مبدأ عندهم اسمه: "هدم الأصل بذات الأصل".

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٧٨) برقم: (٤٠٣١) وأحمد في "مسنده" (٣ / ١١٣٥) برقم: (٥٢٠٩)

أنت إذا أردت أن تهدم منزلًا قويًا، لا يمكن أن تهدمه من الخارج، بل تهدمه من الداخل، أَحْدِث فيه خلخلة، رأيتم جذع النخلة القوي الشديد الذي لو اجتمع عليه عشرة لا يستطيعون عليه، سوسة بسيطة، سوسة النخيل تدخل فيه تنخره، يأتي طفل يدفع الجذع يسقط، هذه سياستهم، اهدم الدين باسم الدين، شوه الإسلام باسم الاسلام.

فأصبحنا نسمع بعض الدعاوى ممن تعلق بكلام الفلاسفة، أو تأثر بعلم الكلام، أو تأثر بالحضارة الغربية، كقول بعضهم: "لا بد من إعادة النظر في ثبوت النص الشرعي"، حتى القرآن الكريم شككوا فيه، لكن بعضهم يصرّح، وبعضهم يلمّح.

قال بعضهم: "لا، نحن نريد أن نعيد قراءة النص الشرعي"؛ يعني نريد فهم جديد للنص الشرعي؛ لأن النص الشرعي هذا نازل قبل ألف وأربعمائة وأربعين سنة، فهو خاص بزمن محمد -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- والصحابة فقط، الآن زماننا غير، عندنا إنترنت، ووصلنا إلى القمر، وصلنا

إلى المريخ، وعندنا أقمار صناعية، فلا بد أن نعيد قراءة النص الشرعي وفهمه بناء على التطورات التكنولوجية الحديثة.

ثم نظروا في تفسير السلف، وتفسير العلماء، والمدارس التي أنشأها العلماء، وأرادوا هدمها تمامًا، لماذا يا جماعة الخير؟

قالوا: هذا نقد للموروث، هذا كله موروث أتى من القدماء، ونحن ناس متطورين، دعونا نفسر الآيات بتطّور وبتحضّر، أما تفسير ابن كثير كم سنة مر عليه؟ وتفسير البخاري كم سنة مرة عليه؟ تقول لي: قال الشافعي، وقال أحمد، قد مرّت عليهم سنين، فهل تريدني–هكذا يقولون- أن أفهم النص الشرعي والقرآن والسنة بفهم البخاري، وبفهم الشافعي، فهمهم لهم، وفهمنا لنا، هكذا يقولون.

وللأسف هؤلاء أصحاب هذا الاتجاه عملوا على استنساخ الحالة الأوروبية، وإسقاط التجربة الغربية على الإسلام في مصادره، وأصوله، وشرائعه، **كيف ذلك؟**

أوروبا في العصور الوسطى عاشوا فترة طويلة جدًّا من الظلام سميت عصور الظلام، هذه العصور تمكنت فيها الكنيسة من السيطرة حتى على الدولة، وظهر نظام يسمى النظام الكهنوتي، وأي أحد يأتي بفكر معارض لفكر الكنيسة؛ يُقتل ويُحرق، وتُحرق كتبه، وكان في اضطهاد عظيم جدًّا، حتى قامت ما يسمى بالثورة الفرنسية، الثورة الفرنسية قضت على هذا النظام تمامًا، بعد الثورة الفرنسية استطاعوا فصل الدين عن الدولة، فقامت حضارة في أوروبا عظيمة، قالوا: إذن إذا أردنا تحقيق تقدمٍ حضاريٍّ عظيم، لا بد أن نُقْصِي الدين؛ لأن الدين يدعو للتخلف.

طيب، هذه الأوصاف، وهذه المعطيات كانت في زمن من؟

- أولًا: هي في زمن القرون الوسطى، ليست في زمننا نحن.

- ثانيًا: ديننا يختلف عن دينهم.

- ثالثًا: كتابنا يختلف عن كتابهم، كتابنا محفوظ، وكتابهم محرّف.

- لا يوجد عندنا سلطة كنسيّة.

ولذلك تراهم في تويتر وفي الانستجرام وغيره يقول لك: ما هذا النظام الكهنوتي الذي يمارسونه طلبة العلم، وهؤلاء الظلاميون؟ هذه كلها مصطلحات مستوردة من النظام الكنسي.

طيب، إذا أنتم تقولون: أنكم تنقدون الموروث، هذا اللي أنتم تأتون به موروث، فلماذا لا تنقدونه؟! كيف نحن من الظلاميين؟ ويسمون أنفسهم بالتنويريين، طيب التنوير من أين جاء؟ من العصور الوسطى، فلماذا تسقطون الألقاب اللي كانت قبل مئات السنين على الناس في القرن الحادي والعشرين الآن؟!

في القرون الوسطى ما وصلوا حتى إلى غلاف الأوزون، ولا الغلاف الأول، والآن نحن وصلنا إلى الأقمار الصناعية، فلماذا تتناقضون في الطرح؟!

لكن المسألة ليست مسألة ظلاميون ولا كهنوت، ولا غيره، المسألة مسألة إسقاط نص شرعي، وضرب الدين من الداخل، وللأسف تأثر بهم

بعض من يدَّعي أنه من المسلمين، يقول: أنا مسلم، وأنا أريد أن أعدّل وأن أضيف على هذا الإسلام ما يغير من النظام الكهنوتي الذي أضافه العلماء عليه.

فإن قال قائل: **ما هي الدوافع لاستهداف النص الشرعي وإعادة قراءته؟**

لماذا هؤلاء الناس يطلبون أن نعيد تفسير القرآن الكريم بمنظور عصري، وأن نعيد تفسير السنة بمنظور عصري حديث، ما السبب؟

بتتبع أقوالهم نجد أنها تنحصر في ثلاثة أسباب، لهم دوافع كثيرة، منها:

- أولًا: أبرزها حب الشهرة، يقول في المثل: (إذا أردت أن تُعرف فبُل في زمزم)، اليوم إذا أردت أن تُعرف تعال بشيء شاذ في الدين واطرحه في وسائل التواصل الاجتماعي، سيطير اسمك في الآفاق، لكن على حساب دين الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

- ثانيًا: من دوافعهم حب الشهوات والتمتع بما حرم الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فالنصوص الشرعية تحرّم الزنى، هم لا يريدوا تحريم الزنى، النصوص الشرعية ضوابط للعلاقة بين الرجل والمرأة، لا يريدونها، النصوص الشرعية تأمر المرأة بالحجاب الشرعي وفق ضوابط شرعية، لا يريدونها.

- ومن دوافعهم اتباع الهوى، كما أخبر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ﴾ أيش؟ ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾[القصص:٥٠].

وستأتينا أمثلة بعد قليل تبين كيف أنهم يريدون ضرب الإسلام في أسسه وعقيدته، تراهم يأتون بالأفكار التي يريدونها، ثم يبحثون في النصوص الشرعية والواقع عما يؤيد فكرتهم، ويردّون الباقي.

مثال: يقولون: كيف نحتج بالسنة والنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- نهى عن كتابة السنة، فقال: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا غَيْرَ القُرْآنِ، فَمَن كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ القُرْآنِ فَلِيَمْحُهُ»(١)؟

طيب أنت الآن تقول: نحتج بالسنة أو لا نحتج بالسنة؟

اختار واحد من الاثنين:

- إذا كنت تقول: لا نحتج بالسنة، فاحتجاجك باطل؛ لأن ما تحتج به علينا سنة.

- وإن كنت تقول: نحتج بالسنة، فأنت قدح ملزوم.

- وإن قلت: نحتج ببعضٍ دون بعض، فنقول: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[البقرة:٨٥] هذا تحكم في الاستدلال، ليس على هواك الاستدلال، وإنما الاستدلال له قواعد، لماذا تأخذ بعض السنة وتترك البعض؟

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٢٩) برقم: (٣٠٠٤)

وهذه طريقة أهل البدع، وأهل انحراف، يقول الله -عَزَّ وَجَل-:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:٨٥].

- ومن دوافعهم في التعرض للنص الشرعي ومهاجمة النص الشرعي: انبهارهم بمخرجات الحضارة الغربية.

يقول أحدهم: "يجب أن نفهم الشريعة بعقلية القرن العشرين، كما يجب أن تُطوّر الشريعة مع العصر، تطبيق الشريعة لا يخيف لو طبقناها بعقليةٍ مستنيرة، -مستنيرة يعني القرون الوسطى، وهذا تناقض في القول- والخطر من تطبيق الشريعة يكمن في تطبيقها بعقول متخلفة مثل عقول أكثر فقهائنا".

فإن سأل سائل: ما هي أهداف هذا الفكر من الطعن في النص الشرعي، والمطالبة بإعادة قراءته وفهمه؟

▪ أولًا: هم يريدون ويسعون إلى إسقاط مرجعية النص الشرعي، ونزع مكانته وهيبته من قلوب الناس، اليوم أنت المسلم عامي الذي ليس عنده شهادة لما يفعل فعل خطأ وتقول له: قال الله في كتابه كذا وكذا وكذا، ماذا يفعل؟ يستسلم لك، يقول: سمعًا وطاعة، ولما تقول له: يا أخي السنة في هذا أن تأكل بيمينك، وأن تشرب بيمينك؛ لأن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: «كُل بِيَمِينَك واشرَب بِيَمِينك» يستسلم لك.

أحداث الربيع العربي التي حصلت وقامت ثورات في البلدان، من الذي هدأها وأطفأها غير العلماء الذين بيَّنوا حرمة الخروج على ولاة أمر المسلمين، فلما يأتيك هذا التنويري، أو هذا الليبرالي صاحب الفكر هذا، فيقول لك: السنة مشكك فيها، البخاري ممكن تشك فيه، ومسلم مشكك فيه، السنة ليست حجة؛ إذن كيف سيُخاطب الناس بلزوم السمع والطاعة لولي الأمر؟! وأحاديث السمع والطاعة كلها في السنة.

لما جاء أحدهم وهو ممن درس عند القطب الشمالي مع البطاريق في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ

مِنْكُمْ﴾[النساء:٥٩] لازم يفسر : ﴿أُوْلِي الأَمْرِ﴾ على ماذا؟ أبو هريرة والصحابة فسروه على العلماء والأمراء، قال: لا، في زماننا هذا هذا يُفَسَّر بالقانون ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ﴾[النساء:٥٩]؛ أي: أطيعوا القانون، هذا الأمر له مغزى، وهو تحقيق مبدأ ينادون به وهو سيادة الشعب، وسيادة القانون، لا عبرة بولي الأمر عندهم، وهذا مبدأ عندهم مبدأ التعددية السياسية، تعددية الأحزاب، هذا كله في الإسلام وفي السياسة الشرعية الصحيحة السليمة لا توجد، لكن لا يستطيع أن يقول: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء:٥٩] أن ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ﴾[النساء:٥٩] هم الحكام والسلاطين، لا يستطيع، يخالف مبادئه، العلمانية والليبرالية، فهم يريدون إسقاط هيبة النص الشرعي من قلوب الناس.

ووالله مرت عليَّ مرة امرأة كانت عندها مشكلة، فبسبب هذا المهندس وغيره أذكّرها بالله عندها مشكلة زوجية، فقلت لها، يا أختي الفاضلة يقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- كذا، ويقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كذا، وذكرت الأحاديث الواردة في فضل الصلح، وفي فضل طاعة الزوجة

لزوجها، قالت بكل برود: هذا في السنة لا أريده، عطني شيء من القرآن الكريم، لماذا؟ السنة غير ثابتة، بكل سهولة أن تُرَد أحاديث النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

يقول أحدهم، هذا يسمونه عميد الأدب العربي، يقول: "ليس القرآن إلا كتابًا ككل الكتب الخاضعة للنقد، فيجب أن يجري عليه ما يجري على بقيتها، والعلم يحتّم عليكم أن تصرفوا النظر عن قداسته التي تتصورونها، وأنت تعتبروه كتابًا عاديًّا، فتقولوا فيه كلمتكم".

هذا الكلام عن القرآن، والله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ماذا يقول؟

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩]، وقال: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[الحشر:٢١].

تعظيم كلام الله تعظيمٌ لمن؟

تعظيم لله، للمتكلم به -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، الإضافة تقتضي التخصيص، فإذا أضفنا الكلام لله؛ صار عظمة الكلام من عظمة الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

ومع ذلك يقول أحد أصحاب هذا الفكر التنويري: "النصوص في ذاتها لا تملك أي سلطة"، وهذا الكلام خطير؛ لأنهم بذلك حتى القانون لا يعترفون به بعد ذلك.

- ثانيًا: يهدفون إلى علمنة الإسلام، وتغيير أحكامه.

العلمانية هي من الألفاظ الغامضة، هي والليبرالية، لكن في أساسها لو يبحثون عنها حتى في الإنترنت هي فصل الدين عن الدولة، وما قامت إلا على هذا الأساس؛ ولذلك هم يسعون إلى عمل مواءمة بين العلمانية بمفهومها غير الديني، وما بين الإسلام؛ ليظهروا أمام المجتمع العالمي الدولي أنهم أصحاب فكر مستنير، وليسوا أصحاب فكر متشدد؛ لأن

عندهم كل من لا يدعو لليبرالية أو العلمانية يعتبر متشدد، ولا بد من دعم الدعاة الجدد.

الدعاة الجدد من هم؟

هم الذين يظهرون الليبرالية المعتدلة كما يقال.

يقول أحدهم وهو من دعاة العلمانية: "الحداثة تعني نزع القدسية عن الديانات؛ -يعني الذي سيلحد يلحد-، وسحب المشروعية السياسية منها، وتدشين قدسيةٍ جديدة تتمثل بالعلمانية، وبالديمقراطية، وحقوق الإنسان، والمساواة بين المواطنين".

ويقول آخر: "العلمانية إذن هي أساس الوحي".

وكتب لي مرة أحدهم في تويتر ردًّا على بعض ما كتبت يقول: طبَّق النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- العلمانية المدينة -والله المستعان-.

■ **ثالثًا:** يريدون خلخلة الصلة بالعقيدة الإسلامية والثوابت الشرعية، يريدون من كل هذا الأمر؛ ضرب النص الشرعي، بأن يجعلوا المسلمين ليس عندهم عقيدة، وليس عندهم ثوابت.

يقول أحدهم: "لا بد أن نعيد النظر في جميع العقائد والسنن الدينية عن طريقة إعادة القراءة لما قدمه الخطاب الديني عامة، والخطاب النبوي خاصة".

يقول أحدهم: خذ مثال: "كيفية الصلاة الواردة في السنة إن صحت فهي شكلٌ من أشكالها يمكن أن تؤدى بأشكال أخرى، يعني ليس بلازم أن تلتزم بالصلاة هذه خمس صلوت في اليوم والليلة"، ويقول هذا إنسان مسلم، يتكلم عن طرح إسلامي.

ويقول آخر: "المهم أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- كان يؤدي صلاته على نحوٍ معين، فكان المسلمون يقتدون به، إلا أن ذلك لا يعني أن المسلمين مضطرون في كل الأماكن والأزمنة والظروف للالتزام بذلك

النحو"، فليس بلازم أن تصلي كما صلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، القرآن الكريم كم صلاة ذكرت فيها؟ يقول ذلكم صاحب التفسير: يقول: ثلاث صلوات، هذه التي يلزم فيها المسلم.

هذا يذكرني بمسيلمة الكذاب لما تزوج سجاح كما ذكر ابن كثير، سجاح ادعت النبوة، ثم تابت ورجعت، يقول: تزوجها، فلما تزوجها رجعت إلى قومها، قالت: لقد تزوجت مسيلمة، قالوا: وما أمهركِ؟، فتذكرت أنه ما أعطاها مهر، فرجعت إليه وقالت: تعال يا مسيلمة، ما أعطيتني مهر؟ قال: أبشري، ملكّتكِ نصف الأرض، وأسقطتُ عن قومكِ صلاة العصر، ماذا تريدين بعد؟

هؤلاء نفس الشيء قال لك: والله القرآن الكريم فيه ثلاث صلوات، والبقية عفو.

يقول أحدهم: "الصيام ليس بواجب وإنما مخير فيه الإنسان يريد يصوم يصوم، لا يريد أن يصوم يدفع فدية حتى لو كان صاحي وسليم"، وهذا خلاف ما عليه إجماع المسلمين، لكن موروث.

يقول أحدهم: ليس من الضروري أن يقام الحج بطقوسه المعروفة، يغني عنه الحج العقلي، أو الحج الروحي، **هذا هدم لماذا؟**

لأسس الدين، وعقيدة المسلمين.

بالنسبة في رد أهل العلم عليهم فيما يشككون في القرآن الكريم:

١ . يقول بعضهم: القرآن الكريم قابل للنقد، ما المقصود بالنقد؟

ليس المقصود نقد التفاسير المنحرفة، هناك تفاسير منحرفة، لا، نقد نص القرآن الكريم.

الجواب:

- الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- تعهد بحفظ القرآن الكريم، وإذا تعهد الله -عَزَّ وَجَل- بشيءٍ لا يخلف وعده، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩].

- ثانيًا: رب العالمين تحدى أن يأتي أحد بآية أو بسورة إلى اليوم ولم يستطع أحد أبدًا رغم قوتهم في اللغة، وفي العلوم، وفي التأليف، وفي المسابقات العالمية في الشعر وغيره، ما استطاعوا أن يأتوا بآية واحدة، **وهذا يدلنا على ماذا؟**

يدلنا على أن القرآن محفوظ، ونحن نقول: نتحداكم أن تدخلوا في القرآن حرفًا، يكشفه طالب عمره عشرة سنوات حافظ القرآن الكريم كله، ما تستطيعون، والله لو اجتمعوا كلهم إنسهم وجنهم على أن يزيدوا في القرآن حرفًا والله ما استطاعوا، فالذي يقول هذا الكلام: أن القرآن قابل للنقد، يراجع دينه.

٢. الشبهة الثانية يقولون: النص الشرعي ومعانيه، القرآن والسنة والمعاني والمضامين التي فيه، تدل على مرحلة تاريخية سابقة مضت وانتهت، زمن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وزمن الصحابة ومن بعدهم، والخلفاء الراشدين ومن بعدهم فقط، فهي أحكام نسبية ليست طلقة، صالحة لذلك الزمان، لا تصلح لهذا الزمان.

الجواب: دلت نصوص القرآن الكريم على أن شريعة الإسلام باقية ودائمة وثابتة ومحفوظة من الزيادة والنقصان، ومن التبديل والتغيير؛ لأن رسالة الإسلام رسالة خالدة ليس بعدها رسالة أخرى، فما دام أنها خالدة، وقد أكملها الله بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣] ولم يكن ذلك لملة من قبله، فدل على أنها صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان، وإلا لاحتجنا لرسالةٍ أخرى للناس.

الحضارة الإسلامية كم قرن استمرت؟ تعرفون؟

الحضارة الإسلامية في أوجها التي استفادت منها الحضارة الغربية استمرت ثمانية قرون؛ **يعني كم سنة؟**

ثمانمائة سنة.

معتمدة على ماذا؟

على الإسلام، وعلى نصوص القرآن الكريم، وعلى السنة، والعلماء غالبهم كانوا من حفظة كتاب الله، ومن سنة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، لكن الحضارة بنيت على الأخلاق.

طيب قد يقول إنسان: معقولة الأحكام التي طبقها النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- في تلكم العصور التي فيها طين، وأحجار، ولا فيها إنترنت هي نفسها الأحكام اللي نطبقها الآن في زماننا؟!

قال أهل العلم: **الأحكام تنقسم إلى قسمين:**

- النوع الأول: نوعٌ لا يتغير عن حاله ثابت، لا يتغير بتغير الأزمان، ولا الأمكنة، ولا الاجتهاد، كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة: وجوب الصلاة، وجوب الصوم، وجوب الحج، الإيمان بالله، الإيمان بالملائكة، الإيمان بالرسل، أركان الإيمان هذه ثابتة من عهد النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- إلى أن تقوم الساعة، بل أمور العقيدة ثابتة من آدم -عليه السلام- إلى أن تقوم الساعة، أمور العقيدة ثابتة عند جميع الأنبياء لا تتغير، وأصول العبادات ثابتة من يوم شرعها الله -عَزَّ وَجَل- على لسان نبيه -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- لا تتغير بحال.
- النوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة زمانًا ومكانًا، وحالًا، بعض الأحكام قد تتغير.

العلماء، علماء الفقه لا تظنونهم بلهاء يفتون في المستجدات دون النظر في أصولها.

أعطيكم مثال: مجمع الفقه الإسلامي جلس سنوات فقط لأجل أن يعطي أحكامًا فيما يتعلق بالأدوية في أحكام الصيام، بخاخ الربو هل يفطر الصائم أم لا؟ أكثر من سنتين أو ثلاث يتدارسونه مع من؟ مع الأطباء، يأتون بالأطباء، ويعطونهم الموضوع هذا يناقشونه ويدرسونه خلال فترة معينة من الزمن، ثم يُعقد اجتماع، ويأتي الطبيب، الطبيب البشري ويعرض رأيه في هذا الأمر، ما أثر هذا الدواء على الصيام، الحبة التي توضع تحت اللسان لمريض القلب، اتفق مجمع الفقه الإسلامي على أنها لا تفطر، لماذا؟ اجتمعوا مع الأطباء، قالوا: هذه لا تدخل في المعدة، ولا تكون غذاءً، وإنما تذهب في الأوردة، وتعالج الأوردة فقط.

الفقهاء في القِدَم قالوا: النخامة تنقسم إلى قسمين: نخامة تنزل من الدماغ، ونخامة تخرج من الفم، جاء الفقه الحديث، والطب الحديث قالوا: لا يوجد منفذ من الدماغ إلى الجوف، فألغوه، انتهى.

قال أطباء الزمن هذا: لا يوجد منفذ من الأذن إلى الجوف، ولا يوجد منفذ من العين إلى الجوف، وعليه فالكحل لا يفطّر، وقطرة الأذن لا تفطّر.

إذن كل هذا أفتى به العلماء بعد ماذا؟

بعدما جلسوا مع أصحاب الطب والعلم التجريبي، فالفقيه يوقّع عن ربه في هذا الحكم لمّا يقول: هذا جائز، وهذا محرم، يظنون أن الفقيه جالس يقرأ صحيفة ويقول: هذا حرام، وهذا حلال، لا يعرف أن كلمة حلال وحرام من أشد الأمور التي تأتي بعد الشرك بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في الجرم أن تقول فيما أحل الله: أنه حرام، أو فيما حرّم الله أنه حلال، تفتري على الله الكذب.

مسائل الاقتصاد، مسائل مستجدة في الاقتصاد، الفقهاء قبل أن يفتوا فيها يأتون بأهل الاقتصاد، اشرحوا لنا هذه النازلة الجديدة، حتى يطبّقوا عليها مصادر التشريع الإسلامي، فديننا الإسلامي صالحٌ لكل زمانٍ ومكان، وقواعده العامة القواعد الكلية الواردة في القرآن الكريم والسنة تصلح لأن تؤسس حضارة من أقوى الحضارات في العالم، لكن تحتاج إلى تطبيق.

بقي عندنا أمر وهو دعوى معارضة النص الشرعي للعقل، وهذا تكلّمنا عليه سابقًا، ودعوى معارضة النص الشرعي لفهم السلف، لعلنا أن نؤخره إلى محاضرةٍ أخرى.

أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن يوفقني وإياكم لكل خير، وأن يعلّمنا ما جهلنا، إنه على كل شيءٍ قدير، وجزاكم الله خيرًا.

****

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】
https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】
https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】
https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☎ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【لعبة كنوز العلم】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/vHJbem

【البريد الإلكتروني】

info@baynoona.net

【الموقع الرسمي】

http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة